

التقديم :

<https://nidaulhind.blogspot.com>

مدونة علمية دعوية فكرية

(راجيا دعائكم)



# الهند و أعلام الهند فى نظر شعراء مصر الجدد

بقلم د/ محمد اسلم الإصلاحي  
الأستاذ المشارك بجامعة كشمير

ما زالت ولا تزال بلاد الهند موقع الإعجاب والتقدير لدى العرب بوجه عام ولدى سكان أرض الكنانة بوجه خاص فبطون التاريخ مملوءة بالشواهد والأحداث التى تميط اللثام عن وجود أو اصبرمتينة بين حضارة الهند العريقة القدم وحضارة مصر العظيمة الشأن وقد لاحظت اصالة هذه الأواصر برأس عيني فى اثناء زيارتى لمتحف القاهرة فى أواخر ١٩٨٥ وفى ذلك الحين تعجبت لما افادنى أحد من عمال المتحف بأن الأمتشة التى تلف هذه المومياءات هى مستوردة من الهند وذلك قبل حوالى أربعين قرناً وان دل هذا على شئ فانما يدل على أن الروابط التجارية والثقافية والدينية بين الهند ومصر قد بدأت قبل آلاف من السنين، وما اطلعتى عليه العامل المذكور لم يكن مجرد كلمة افواه بل هو حقيقة تاريخية ثابتة كما يتبلور من العبارة التالية للمؤرخ الشهير العلامة سليمان الندوى الذى يقول:

## ثقافة الهند

"وللمنتوجات الهندية الرقيقة دائما شهرة واسعة النطاق وهذا ثابت من بيانات كافة الأقوام بحيث أن الأقمشة المنسوجة في الهند هي أكثر رقة وناقاة ويقال ان مومياءات مصر ملفوفة بثياب رقيقة منسوجة في الهند"<sup>(١)</sup>.

وفيما يتعلق بعلاقة العلاقات الدينية بين الهند ومصر فنكتفى هنا بالإشارة إلى ما كتبه جيتاسين عن مشاركة الهنود والمصريين القدامى في عقيدة التناسخ فهي تقول:

"Egypt and India both shared an inherent belief in the eternal cycle of life, death and rebirth..... The Egyptian Ka or mystical soul could be compared in some respect to the "Atman" being transferred from one corporal body to the next".<sup>(2)</sup>

يعنى ذلك فان الهند ومصر كليهما قد اشتركا في العقيدة المتأصلة المتلخصة في سلسلة الحياة والموت والبعث السرمدية... "وكع" المصرى أو الروح السرية يمكن من بعض النواحي مقارنتها بـ "آتمان" اذ انها أيضا تتحول من جسد إلى جسد آخر".

وفي سياق هذه الاقتباسات يمكن لنا القول ان جذور الروابط والعلاقات بين الهند ومصر قد نشأت وترعرعت منذ عهد الفراعنة حتى انها الآن قد اصبحت مثل شجرة الدوحة التي مازالت ولا تزال مزدهرة رغم مرور عدة آلاف من السنين وثمة عوامل عديدة وراء توطيد هذه العلاقات وارساخها ومنها أولا: عراقة حضارة الهند وقدامة ثقافة الهند وثانيا: نمو وازدهار الروابط التجارية بين البلدين منذ عهد عتيق وثالثا رغبة سكان كلا البلدين فى توسيع نطاق العلوم والمعارف ورابعا: اهتمام سكان كلا البلدين بالمنتجات الصناعية والمخترعات المتطورة التي يتم إنشاؤها فى كلا البلدين منذ زمن بعيد وتستمر هذه السلسلة من اقدم العصور كما ذكرنا آنفا وفى هذا الصدد تجدر الإشارة إلى ان أحد من المؤرخين الأقدمين وهو ميتا فراست (Metaphrast) قد كتب عن الهند فى كتابه "أعمال الشهداء فى بلاد العرب" وقد نقله من اليونانية إلى اللاتينية سوربوس (Surius) فى كتابه "حياة القديسين"

## ثقافة الهند

كالتالى: ان ملك الأحباش نفسه هو الذى قاد فصائله وجيوشه وكان عددها يبلغ مائة عشرين ألف مقاتل وانه امر ببناء سبعمائة سفينة هندية فى الشتاء (٣)، فالكلمة "سفينة هندية" تبرهن على ان العلاقات بين الهند ومصر لم تقتصر على التبادل التجارى والثقافى فحسب بل كانت دائرتها تشمل الاستفادة من خبرات كلا البلدين فى ميادين الصناعة والحرفة والتكنولوجيا وهذه السلسلة مازالت قائمة منذ القدم ومن هنا نشاهد ان سفن التجارية المحمولة بالتوابل والأقواه الطيبة الذكية والأقمشة والعقاقير والمعدات الحربية كانت ولاتزال تتجه إلى مراسى مصر وهكذا تصل سفن المصريين والعرب إلى سواحل الهند شاحنة بالبضائع الغالية الثمينة.

وايا كان الأمر فان الحقائق المذكورة اعلاه تثبت بصراحة ان قدامة العلاقات بين الهند ومصر لاتحتاج إلى مزيد من التوضيح والاستدلال وبعد هذه التوطئة الموجزة نذلف إلى ما قاله بعض شعراء مصر فى وصف الهند وبخاصة بعد مستهل هذا القرن وفى هذا الصدد يستحسن ان نشير إلى ان الشاعر الفيلسوف رابندر نات طاغور لما قام بزيارة مصر فى سنة ١٩٢٦ (٤)، دعاه أمير الشعراء شوقى بك إلى منزله "كرمة ابن هانى" المطل على النيل واستقبله ببالغ حفاوة وتكريم وأقام بهذه المناسبة حفلة شأى اشترك فيها عدد كبير من الأدباء والشعراء ورجال السياسة والصحافة العربية والأجنبية والشعراء الذين حضروا هذه الحفلة بوجه خاص هم حافظ ابراهيم ومحمد بن حسين هيكل وعبد العزيز وغيرهم وكثرة تواجد هؤلاء الشعراء فى هذه الحفلة تكشف النقاب عن الحقيقة ان فى قلوب المصريين منزلة خاصة للطاغور وفلسفته المفعمة بالنفحات الهندية وهذا واضح أيضا من التحاور الذى دار بين شوقى وطاغور فى أثناء لقائهما بـ "كرمة ابن هانى" فقال شوقى مغتبطا بـ "طاغور": ان عدد قرائه عظيم فالهند بلاد واسعة تضم اكثر من ٣٠٠ مليون من السكان" فاجابه طاغور قائلا: حقا ان الهند واسعة ولكن مع الأسف كل ولاية فيها تكلم لغة تختلف عن لغة الأخرى ولذلك أصبح من يفهمون كلامى لا

## ثقافة الهند

يتجاوز عددهم عشرة الملايين ثم اضاف مبتسما: بل انت احق منى بالاغتباط فان قراءك هم العالم العربي كله (٥).

وبدل على هذا الحوار على ان شوقى وطاغور كانا متأثرين ببعضهما وكان احدهما يعترف ويعتز بشاعرية الآخر وفي الوقت ذاته كان كلاهما يفتبطان بكثرة قرائهما وبانتشار شهرتهما فى مشارق الأرض ومغاربها وتجدر الإشارة هنا إلى ان شوقى لم يكن يتعجب بـ طاغور ومكانته الشعرية فحسب بل كان يولع بكل ما ينتمى إلى أرض الهند من الحكم والأمثال والعلوم والمعارف والقصص والحكايات والأساطير والخزعبلات وانطلاقا من هذه المحبة والاعتزاز انه الف قصيدة تحت عنوان "المرأة" وصرح فى بدايتها بان كل ما جاء فيها ينطوى على أسطورة هندية نقلها إلى العربية أحد من الكتاب الأرائل ويقينى بان شوقى لم ينتخب هذه الحكاية إلا لكى يطلع قراءه على حكمة هدية بالغة الأهمية ومن الأهمية بالمكان ان نذكر هنا ان نظرية شوقى عن الشعر يتلخص فى شعره التالى :

الشعر مالم يكن ذكرى وعاطفة أو حكمة فهو تقطيع وأوزان (٦)  
ومن هذا الشعر نستشف ان شوقى كان دائما يشغف بالبحث عن الحكم والمواعظ والأمثال وفى أثناء هذا البحث انه وجد بلاد الهند "معدن الحكمة وينبوع العدل والسياسة وأهل الأحلام الراجحة والآراء الفاضلة والأمثال السائرة والنتائج الغربية واللطائف العجيبة (٧)، واستفاد من كل ما وصل إليه من المعلومات والأخبار عن الهند ونظم عدة قصائد مشتملة على بعض الحكايات الهدية الجميلة ولم يكن يقصده وراء هذه المنظومات إلا توجيه الناس إلى بعض الحقائق الهامة المتعلقة بالحياة الإنسانية وفى هذا السياق نلاحظه ينظم قصيدته المعنونة بـ "المرأة" لكى يخبر الناس بان الرجال دائما فى أمس حاجة إلى رفقة النساء كما يتجلى من الحوار التالى الذى دار بين الاله والرجل:

قال الاله: يا رجل حيرت مولاك فقل

مالذى تريد احفظ ام اعيد

## ثقافة الهند

فاخذ الرفيقة وقال ذى الحقيقة

لاعيش لى معها ولا بدونها العيش حلا (٨)

وتأثر شوقى بالحكم الهندية سرعان ما ساقه إلى الإعجاب بزعماء الهند السياسيين وفى هذا الصدد نخص بالذكر قصيدته التى وصف فيها المهاتما غاندى كمنقذ من الاحتلال البريطانى ونصحها ان يلعب ورقة السياسة بمنتهى الحذر والحيطه لأن الإنجليز يستخدمون جميع الحيل لتوطيد قواعدهم فى معظم البلدان الشرقية بماقى ذلك الهند ومصر واذان بلاد مصر كانت فى أوائل هذا القرن تئن تحت نير الاضطهاد البريطانى وكانت تكافح الاستعمار الأجنبى للحصول على الحرية والاستقلال فكان من الطبيعى ان يغمر شوقى بالفرح والابتهاج اثر معرفته بان الزعيم الهندى الكبير وهو المهاتما غاندى يمر بشواطئ مصر أثناء طريقه إلى لندن فى سنة ١٩٣١. هذا النبأ السار قد اثار عواطف الشاعر وأحاسيسه فبادر بنظم قصيدة رائعة فى مدح المهاتما والنظرة العابرة على هذه القصيدة تعطينا الفكرة بان شوقى كان صادقاً مخلصاً فى مشاعره تجاه غاندى ولم يكن غرضه من هذه القصيدة إلا إبراز خدمات غاندى فى سبيل الحرية والاستقلال ولو لم يكن كذلك لما يخاطب مواطنيه قائلاً:

قفوا حيوه عن قرب على الفلك وعن بعد

وغطوا البر بالأس له وغطوا البحر بالورد(٩)

ومما يبدو ان شوقى كان معجباً ببلاد الهند منذ ان بلغ اشده أو منذ العامه بان لسكان الهند دوراً تاريخياً فى بناء صرح الحضارة الإنسانية ومن ثم نلاحظه يؤلف كتاباً تحت عنوان "عذراء الهند" وذلك فى زهرة شبابه، كم كان شوقى مغرماً بالحضارة الهندية؟ لايمكن الإجابة عن هذا السؤال فى هذا المقال الوجيز ولذا نكتفى بهذا القدر من البيان وندلف إلى ما قاله شعراء مصر الآخرون عن الهند وعن مظاهرها المختلفة وفى هذا الصدد نستهل القول بذكر الشاعر الرومانسى الكبير خليل مطران الذى استوطن بلاد مصر وبرع فى مجال الأدب والشعر بقصائده الرائعة المفعمة بالحيوية وبالنزعات الرومانسية

## ثقافة الهند

ومما اعتقد ان هذه هي نزعة الرومانسية التي حثته على نظم قصيدة تحت عنوان "هند" ولو ألقينا نظرة سريعة على هذه القصيدة لوجدنا ان الهند في نظر خليل مطران ليست إلا روضة جميلة فيها أنهار مملوءة باللبن والعسل ومنها تتبثق أنوار الحب والغرام ويقول مطران في بداية قصيدته ان العرب جعلوا كلمة "الهند" علما لعرائس الشعر لأن هذه الكلمة تكمن في طياتها جميع صفات أرض الهند بما في ذلك جمالها وروعها وحسنها وبهجتها وخيرها ومفاتها وفي هذا السياق نلاحظ خليل مطران يصف الهند قائلا:

في مدنها طبعوا حديد      السيف وابتدعوا الفرندا  
هي موطن السحر الحلا      ل وفي اسمها السر المفدى  
من يدع هنداً يعن من      اسنى معانى الشعر عدا (١٠)

في البيت الأول اشار الشاعر إلى حقيقة تاريخية متعلقة بصناعة السيوف في الهند وبشهرتها في البلدان العربية منذ أقدم العصور لأنها كانت امضى وأقطع من سيوف البلدان الأخرى يقول شريف الانديسى في هذا الصدد: لكن الهنديون وصناعتهم يجيدونها فضلا على غيرهم من الأمم<sup>(١١)</sup>، وعلى ضوء هذا البيان اذا امعنا النظر في الأدب الجاهلى فوجدنا فيه أبيات كثيرة جاء فيها ذكر السيوف الهندية ومن الملاحظ هنا ان كافة العرب كانوا يفتخرون بحيازة هذه السيوف وبما انه لايمكن هنا حصر جمع الأبيات المنطوية على وصف السيوف الهندية فلذا نقتصر على كتابة الأبيات التالية فقط:

يقول المثلث بن رباح المري:

وقتود ناجية وضعت بقفرة      والطير غاشية العوافى وقع  
بمهند ذى حلية جردتـه      يبرى الأصم من العظام ويقطع<sup>(١٢)</sup>  
تصف ريطه بنت عاصم السيوف الهندية قائلة:  
غدو كسيوف وراء حومة      من الموت المياوردهن المصادر<sup>(١٣)</sup>  
ويقول الشاعر الفحل الكبير عمرو بن كلثوم:  
وطلم نوى القربى أشد مضاضة      على المرء من وقع الحسام المهند<sup>(١٤)</sup>

## ثقافة الهند

وان حاولنا هنا جمع الأبيات التي يوجد فيها ذكر السيوف الهندية فيتحول هذا المقال إلى كتاب ضخمة ولذلك فأننا نتطرق من جديد إلى الموضوع ونلاحظ في الشأن ان الشعراء المصريين حالما يتعرفون على نياها من الهند أو سكتها يأخذون اليراع لقرض أبيات عن الهند وزعمائها تتسم بالصدق والإخلاص وفي هذا السياق عند ما نعلم النظر في أوراق بعض المجالات والكتب العربية نستشعر بأن معظم شعراء مصر قد أشادوا بالدور الذي لعبه غاندى في مضمار كفاحه ضد الاحتلال الأجنبي وما قام به من الأعمال البطولية ضد المستعمرين الغاشمين وقد أسلفنا الذكر ان بلاد مصر مثل الهند كانت في النصف الأول من القرن الحالى تزرع تحت وطأة الاضطهاد البريطانى ومن ثم كان المصريون يحترمون ويعتبرون زعماء الهند السياسيين مثل زعماءهم الكبار ومما يبدو انه كانوا يعترفون بغاندى ونهرو اكثر من زعمائهم كما يتضح من شعر شوقى بك التالى الذى يمدح فيه غاندى قائلا:

على افريز (راجبوتا	نه) تمثل من المجد
بنى مثل (كونفوشيو	س) أو من ذلك العهد
قريب القول والفعل	من المنتظر المهدي
شبيه الرسل فى الذود	عن الحق وفى الزهد (١٥)

ويعنى ذلك ان المهاتما غاندى لم يكن تمثالا من الشرف والمجد فحسب بل كان، اعوذ بالله، نبيا أو شبيه الرسل وايا كان الأمر فان هذه الصفات انما تدل على علو مكانة غاندى فى نظر الشاعر ولم يكن شوقى فى هذا المضمار وحيدا بل هناك عديد من الشعراء الذين حذوا حذو أمير الشعراء لمدح الزعماء الهند البارزين من أمثال غاندى ونهرو وأبى الكلام آزاد وذاكر حسين وفخر الدين على احمد وانديرا غاندى. ومن المعلوم ان البانديت جواهر لال نهرو كلما زار بلاد مصر استقبله المصريون استقبالا حارا هاتفين به رسول الأمن والسلام والأحرى بنا ان نتوقف هنا قليلا عن كلمة الرسول لأنها كلمة لها مفهوم دينى خاص فلا يجوز اطلاقه على أحد إلا على من بعثه الله بوجه خاص لهداية الناس إلى طريق الخير والسعادة وفى هذا السياق نتعجب فى حين



## ثقافة الهند

نلاحظ ان المصريين كانوا يستعملون كلمة "الرسول" لجواهر لال نهرو ولهذا الأمر نجد أى تأويل إلا ان نقول ان استعمال هذه الكلمة لجواهر لال نهرو انما ينم عن شدة اعجاب المصريين بشخصية نهرو وانا شخصيا شاهدت مظاهر مختلفة لهذا الإعجاب أثناء مكثى فى القاهرة اذا اننى لقيت هناك أطفالا مسلمين اسماؤهم نهرو أو غاندى ولما سألتهم : هل تعرفون معنى نهرو قالوا والبسمة على شفاههم: "معنى نهرو الحب والسلام" وليس من شك ان معظم المصريين يعتقدون ان نهرو قد ملأ الأرض بالحب والسلام وان نهرو لم يدخر أى جهد لتوطيد دعائم السلام فى جميع أنحاء الأرض وهذا يتبلور من أبيات عبد العزيز بيولى على التالية التى يثنى فيها على نهرو قائلا:

عاش نهرو ولم يكن مستبدا      عاش للخير باذلا مستعدا  
لم يكن غير قائد عبقرى      ساس امر البلاد دأبا وقصدا  
عاش للسلم والسلامة غنم      فى سبيل البناء جدا وكدا.

نستشف من هذه الأبيات ان لنهرو كان فى قلوب المصريين منزلة خاصة وانهم كانوا يحترمونه ويوقرونه بمنتهى الصدق والإخلاص كما كانوا يعتقدون ان العناية الالهية ترعى نهرو وترشده دائما إلى دروب الخير والسعادة وقد جعلته هذه العناية الالهية شعلة الأمن سرمدية الخير وأبدية المحبة وبفضل هذه الشعلة نالت عشرات من البلدان الآسيوية والافريقية حرية واستقلالاً دون الخوض فى المعارك الضارية ومن الواضح ان معظم شعراء مصر وأدبائها ومفكريها كانوا متأثرين للغاية بفلسفة "عدم العنف" التى قد اتبعتها الزعماء الهنود تحت قيادة المهاتما غاندى لمواجهة الاستعمار البريطانى وفى الواقع ان هذه الفلسفة لم تكن فى نظر المصريين إلا أداة للنصر المبين وذلك لأن لها أثرا كبيرا فى مقاومة قوى العدوان والظلم والتعسف والاضطهاد فهى بمثابة سلاح استخدمه الساسة الهنود الكبار من أمثال غاندى ونهرو وأزاد للتفادى من الدمار والخراب وازراقه الدماء عند نشوب عراك بين الناس ويتخلص مفهوم هذه الفلسفة فى انه لا يجوز لمتبعيها استخدام القوة لتحقيق المطامح مهما كانت نبيلة فلا مجال فى هذه الفلسفة بالنواجذ وسلوكوا مسلكها

## ثقافة الهند

بالصدق والاخلاص وكانت نتيجة ذلك ان الهند نالت نصرا موزرا على المستعمرين الأجانب بدون استعمال أسلحة فتاكة ولهذه الفلسفة جوانب عديدة ومنها الصبر على المتاعب والثبات عند الشدائد والقناعة بالكفاف والامتناع عن الم لذات والشهوات والمثابرة وضبط النفس فى املك الساعات وقد تجسدت هذه الصفات كلها فى شخصية غاندى كما يتبلور من أبيات على عبد الظاهر النحلى الذى يمدح غاندى قائلا:

(غاندى) الذى قطع الحياة مجاهدا      متسلحا بالصبر والإيمان  
قد سطر التاريخ فى صفحاته      مازاق من جوع ومن حرمان  
اضحى يكبح النفس عن رغباتها      ملكا! تكمص صورة الإنسان (١٦)

ولا ريب فى ان غاندى قد احب ان يتجشم بنفسه جميع المتاعب والألام ويقاسى جميع الهموم والغموم دون الحاق أى ضرر باعدائه وذلك لأنه كان يعتقد من صميم قلبه أن العنف يولد مزيدا من العنف وان اضطرام النار يقودنا إلى مزيد من الدمار والتهلكة ومن هنا يجب علينا ان نتجنب وتنعصر عن استخدام القوة ضد أعدائنا وبدلا من ذلك نفتح قلوب خصومنا ببسمات الحب والوداد ولو ان هذا الأمر يبدو فى بادى ذى بدء سهلا هينا إلا ان تحقيقه أصعب للغاية لأنه يتحتم على الإنسان ان يشن الحرب ضدا أمانيه ورغباته قبل نضاله ضد أعدائه وفى هذا السياق نجد قول الشاعر التالى أقرب إلى الحق والصواب:

أشد الجهاد جهاد الهوى      وما كرم النفس إلا التقى

وأيا كان الأمر فقد أصبح الآن واضحا ان معظم المصريين قد تأثروا بشخصية غاندى لا لأنه كان يمتلك قناطر مقلنة بل كان يتحلى بأخلاق فاضلة وعادات طيبة لاتوجد إلا فى عباقرة من الناس وهذه الجوانب الغير العادية لشخصية غاندى قد تركت بصمات عريقة على قلوب كثير من الزعماء البارزين بمصر وعلى سبيل المثال ننقل هنا ما كتبه انور السادات عن "غاندى" فى كتابه "البحث عن الذات":

"أذكر أنه في ١٩٣١ مر غاندى بمصر فى طريقه إلى إنجلترا وامتلات الصحف والمجلات المصرية بأخباره وتاريخه وكفاحه فأخذت به واستولت صورته على وجدانى فما كان منى الا قلنته... خلعت ملابسى وغطيت نصفى الأسفل بارزا وصنعت مغزلا واعتكف فوق سطح بيتنا بالقاهرة عدة أيام إلى ان تمكن والدى من اقناعى بالعدول عما انا فيه... فلن يفيدنى ما افعله أو يفيد مصر فى شئ بل على العكس كان من المؤكد ان يصيبنى بمرض صدرى وكان الوقت شتاء فإرس البرودة" (١٧).

لا يختلف اثنان فى أن كل ما فعله انور السادات لم يكن إلا نتيجة تأثيره الشديد بشخصية غاندى الفقير العارى كما دعاه مرة رئيس الوزراء السابق ونستون تشرشل ولم يكن السادات وحيدا فى هذا التأثير البالغ الأهمية بل هناك عدد كبير من المصريين الذين اعجبوا بشخصية غاندى وأفكاره السياسية وحاولوا ان يتبعوا خطواته فى سبيل الحرية والسلام وفى نظر هؤلاء المصريين لم يكن غاندى ملكا جبارا أو ديكتاتورا مستبدا بل كان متزهدا صفر اليدين كان يخاف منه الطفاه والمستكبرون كما يقول أمير الزحل ابو بئينة فى قصيدته "غاندى فى ذكراه":

وبمعزته العجفاء استغنى واستكفى

عن كل شئ ثان

يمشى فى ثوب صعلوك لكن تهابه ملوك

مع انه كان اعزل

وبمغزله الدوار اذل الاستعمار

يا قوة المغزل (١٨)

ويمكان آخر يخاطب خليل جرجس خليل غاندى قائلا:

كل ميلادك غاندى نعمة لبلاد ذات تاريخ مجيد

بسلاح الصوم حاربت العدى لابنار أو رصاص أو حديد

## ثقافة الهند

ومن المغزل حكمت سترة لك تغنى عن ومقس وبرود

ومن العنزة كانت جرعة لبنا تغنيك عن زاد مزيد (١٩)

ومن الملاحظ ان الأبيات المذكورة والأبيات الأخرى التى قرضها الشعراء المصريون فى مدح غاندى قلما تخلو من ذكر مغزل أو منوال غاندى أو شاته العجفاء وقد ابرز هؤلاء الشعراء هذين الشئيين فى منظوماتهم بحيث انهما يبدو ان بعض الأحيان أداة من ادوات الحرب التى شن غاندى على أساسها معركة ضد المحتلين الغاشمين فمثلا تقول هند رستم وهى تمدح جمال أرض الهند الشهيرة بلاكى الحكم والأمثال:

يا أرض غاندى

حكيم القرن الذى نعيش

هازم البطش بمغزله

وكذلك نرى الأديب محمود بيرم التنيسى يثنى على غاندى فى منظومته

"الرجل البديع فى تحية غاندى" قائلا:

لنجليز عايشين فى لذة عنده اسطول وعزه

وانت تضربهم بمعزه سوده بنت أربع سنين (٢٠)

وبمكان آخر يمدح الدكتور عزت شندى موسى غاندى قائلا:

صنعت يداه المعجزات ولم يكن فى صنعه فظا ولا جبارا

صنعت يداه المعجزات ولم يكن فى صنعه فظا ولا جبارا

فتح الحصون بمغزل وبصومه قد حطم الاصفاذ والاسوار (٢١)

والشاعر الآخر المصرى محمد احمد ابو عافية فى حين يمدح غاندى

يذكر بوجه خاص معزته ومنواله كما يتلور من الابيات التالية:

ومعزته السودة ورجليه على الطريق والضيق عانياه

لكل وافق على قوله طق عزوله

وهو قاعد على نوله مع الزمن زاهد دنياه (٢٢)

ولسنا بحاجة الى ابراز الفرق بين المغزل والبندقية لان جميعنا نتعرف

على لبون الشاسع الموجود بين هذين الشئيين ومع ذلك نود ان نشير الى ان

## ثقافة الهند

غاندى كيف انتصر على قوى الاستعمار بمجرد استخدام مغزله وفى هذا السياق يستلزمنا القول ان منوال غاندى لم يكن لاراقة الدماء أو للتعذيب. بل كان استعماله لغزل الخيوط لكى تتسج منها الاثواب محليا ولا تستورد من الخارج وبهذه الطريقة أراد غاندى أن يكبد المستعمرين الغرب خسائر فادحة وأن يقاطع الدول الغربية اقتصاديا واما معزته فقد رباها ودلها ليكتفى بحليها غداء ولا يضطر الى المواد الغذائية المستوردة من الغرب وتجدر الاشارة الى ان غاندى قبل خوضه فى خضم الحركة الوطنية ضد الانجليز كان محاميا فى افريقيا الجنوبية وكان يرتدى ما كان يرتدى الانجليز من الملابس بما فى ذلك البدلات والعقد الا انه لما رجع الى بلاده بسبب التمييز العنصرى بافريقيا الجنوبية انصرف عن ملبوساته الحديثة الى الابد وبدلا منها لف جسده الهزيل بالنسيج الذى غزل خيوطه بيديه وعمليته هذه تتم عن بعد افكاره وعمق آرائه فى القضايا الاقتصادية التى بعض الاحيان ترغم الدول الكبرى على تبديل استراتيجيتها العسكرية والاقتصادية كما تجبرها على تغيير مجرى السياسة الداخلية لهذه الدول ونلاحظ فى هذا السياق ان الولايات المتحدة الامريكية ترضخ اليوم لليابان بسبب اقتصادها الزاهر المتطور وما من شك فى ان غاندى قد ادرك هذه الحقيقة فى بداية كفاحه ضد الانجليز ومعنى ذلك انه كان بعضل التحرر الاقتصادى على التحرر السياسى لان من هو عالة على الآخرين اقتصاديا لا يستطيع ان يحافظ على حرية وكرامته ونظرية غاندى هذه تتجلى فى قصيدة انشاها خليل جرجس خليل رئيس التحرير الأسبق لمجلة صوت الشرق وعنوانها "فى ذكرى المهاتما غاندى" فيمدح غاندى قائلا:

عاش والامة طرا ساداه وابوا ان يرتضوا عيش العبيد

قاطعوا المصنوع فى مانشستر واكتسوا ما نسجت ايدى الهنود

عزة الاحرار اغلى قيمة من كنوز المعهد فى كل العهود. (٢٢)

وبكلمة اخرى كان غاندى يناشد مواطنيه ان يبذلوا كل الجهد للحصول على الاكتفاء الذاتى وذلك لتحرير انفسهم من عبودية الاستعمار الاجنبى ولم تكن مناقشته هذه مجرد كلمة بل هى سرعان ما تحولت الى حركة نضالية

## ثقافة الهند

سلمية خالية من العنف والعدوان لانها لم تكن وليدة كراهية ضد الانجليز بسبب انتمائهم الى جنس بشرى يقطن في بقعة خاصة من الأرض بل كانت في الحقيقة موجهة الى الحكام والولاة من الانجليز الذين كانوا يرتكبون جرائم بشعة واعمالا وحشية لابقاء سيطرتهم على بلاد الهند وفوق كل ذلك كانوا يبثون بذور الحقد والعناد في قلوب سكان الهند المسلمين وعلى الاخص كانوا يحثون المسلمين والهندوس على اثاره الفتن والاضطرابات فيما بينهم وبالاجاز انهم كانوا يتبعون سياسة "فرق تسد" وكانت نتيجة ذلك ان الفتن الطائفية قد غمرت معظم ارجاء البلاد وبخاصة في اواخر زمن الاحتلال البريطاني وهذه الفتن سرعان ما تشكلت امام زعماء الهند الكبار في صورة حواجز وعوائق لا يمكن اجتيازها وفي هذه الظروف الحرجة برز غاندى على منصة السياسة الهندية وبذل كل ما في وسعه لاختاد نار الاضطرابات الطائفية الدائرة آنذاك بين المسلمين والهندوس ولتحقيق هذا الهدف جعل حياته في بعض الاحيان عرضة للتهلكة والاغتيال والح بمنتهى القوة على المسلمين والهندوس بان ينصرفوا عن اراقة الدماء والتعذيب وتدمير المباني وهكذا دعا كلا منهم الى طريق السعادة والخير ولم يكن هذا الامر سهلا هينا كما يتضح من الابيات التالية لامير الشعراء شوقى الذى يصب شأبيب المدح على غاندى قائلا:

نبى مثل (كونفوشيوش) تمثال من المجد  
دعا الهندوس والاسلام للالفة الـ  
بسحر من قوى الروح حوى السيفين فى غمد  
وسلطان من النفس يقوى رائض الاسد(٢٤)

تتلخص هذه الابيات فى ان منع اندلاع الاشتباكات بين المسلمين الهندوس كان بمثابة وضع سيفين فى غمد واحد ومن هنا يدرك كل من له انى الامام بالظروف السياسية والاجتماعية والدينية فى الهند مدى حجم مشكلة كان غاندى يواجهها من قبل مواطنيه فى اثناء كفاحه ضد المستعمرين الاجانب ومع هذه كله انه تغلب على هذه المشكلة بصدق نيته وبصفاء قلبه وبطوره واهمته وارادته ونال الامتحان والاعجاب من البشرية كلها بما فى ذلك شعراء المفكرين وهذا

## ثقافة الهند

واضح مما اسلفنا من الذكر عن غاندى وتجدر الاشارة هنا الى ان شعراء مصر فى حين اغدقوا لآلى الثناء على زعماء الهند الآخرين من امثال نهرو وآزاد وفخرالدين على احمد. ذكروا غاندى بوجه خاص وعلى سبيل المثال نقل فيما يلى ابيات عبد العزيز بيومى على الذى يؤكد على ان طريقة نهرو فى مضمار السياسة لم تكن تختلف مطلقا عن منهج غاندى السياسى فالشاعر المذكور يقول عن نهرو فى قصيدته "نهرو العظيم":

كان منواله طريقة غاندى مستحاثا خطى الهند مجدا

ومضى فى الطريق لم يأل جهدا راسما للحياة عهد او وعدا

ونجد نفس الخيال فى شعر الزاد ينظر التالي:

وخلف المهاتما البانديت(نهرو)

وبدا عهد باعمال ضخمة ونجاح عظيم

واتصل الاسلوب الغاندى واستمر على الطريق الذى رسم بعناية من قبل.

وبمكان آخر نرى زين العابدين بن سلامة يمدح انديرا غاندى ويقول عن

غاندى اثناء مدحه هذا:

و(غاندى) منهض الهندوباعث قوة الفرد

بنى سياسة عرفت بنبذ العنف والقيد

وقد اجلى بريطانيا بصدق العزم والجهد

والشاعر الآخر محمود شاور ربيع يذكر غاندى فى حين رثائه

على الدكتور ذاكر حسين رئيس جمهورية الهند السابق ويقول:

وغدا الجميع احبة قد لفهم ود، وضمتهم اليك او اصر

وكانما (غاندى) و(نهرو) اشرفا فى نور وجهك فاهتدى بك حائر (٢٥)

وفى منظومة اخرى نفس الشاعر يمدح فخرالدين رئيس جمهورية السابق

ويذكر غاندى فى ضمن مدحه قائلا:

واشهد عن يمينك نور "غاندى" بضىء القلب يملؤه اليقيننا

يجمع حوله بالحب صحبا وينشر بين رفقته اليقيننا (٢٦)

## ثقافة الهند

وقد اصبح الآن جليا واضحا ان معظم الشعراء المصريين الذين عكفوا على قرض الشعر فى مدح الهند قد تأثروا بصورة ملحوظة بشخصية غاندى وفسفية المبنيّة على مبدأ "اللاعنف" الا انه لا يعنى ان هؤلاء الشعراء لم يقولوا شيئا عن عباقرة الهند الآخرين أو عن مظاهر الهند المختلفة وفى الحقيقة انهم امطروا شأبيب المدح والثناء على معظم لبطال الهند البارزين الى جانب وصفهم ارض الهند بانها وارثة الحضارات وصانعتها وهى ارض الروى والاحلام والاساطير وان سهولها وجبالها وهضابها ورمالها وغاباتها تزخر بجمال الطبيعة ومفاتيحتها فهى آية من الروعة والبهجة وفوق كل ذلك انها معدن الحكمة والفلسفة ومنبع الخير والسعادة وفيما يتعلق بالقصائد التى تتطوى على مدح الاعلام الهنود الآخرين فنلاحظ فى هذا السبيل ان الشخصيات الهندية التى اثثوا عليها شعراء مصر هى بصورة اجمالية: جواهر لال نهرو، أبوالكلام آزاد، دكتور ذاكر حسين وفخرالدين على احمد ولال بهادر شاسترى وانديرا غاندى ورايندر نات طاغور وبما أن نطاق هذا المقال لا يسمحنا للأطناب والتفصيل عن ذكر هؤلاء العباقرة فنكتفى هنا ببيان بعض القصائد المحتوية على صفات بعض الافذاذ الهنود من امثال نهرو، آزاد وطاغور وفى هذا الشأن نستهل القول بشخصية نهرو المحبوبة الجذابة الفريدة وقد اسلفنا الذكر ان المصريين قد رحبوا بنهروا- كلما قام بزيارة مصر- هاتفين به رسول السلام والامن "وحبيب الشرق" وهذا الكلمات تدل على مدى اعجاب المصريين بجواهر لال نهرو وعند ما اسكبوا هذا الاعجاب والتقدير فى قوالب الشعر جاموا بابيات رائعة متممة بالصدق والاخلاص كما يتبلور من ابيات التالية التى يعترف فيها الشاعر بجميل نهرو عند ما ساعد مصر وقت نشوب الحرب ضد مصر على تأميمها قناة السويس ويذكر هذه الواقعة فى اثناء مدحه نهرو:

واتى "حبيب الشرق" نهرو بعده فمشى بها قدما الى أمالها  
قد قاد نهضتها فكان مظفرا فى زمرة الاحرار من لبطالها  
واعان "اخت الهند حين تعرضت للغزو فى تأميمها لقتالها.



## ثقافة الهند

والشاعر الاخر حامد الجوهري يشير ايضا الى ما تقدمه نهرو من المعونة والمساعدة الى مصر فى حين هاجم البغاة لرض مصر وارادوا ان يحولوا بين جمال عبد الناصر وبين عزمه على تأميم قناة السويس ففى ذلك الوقت رفع نهرو صوته فى تأييد مصر واعلن انه لا علاقة للبلدان الأخرى بتأميم مصر لان هذا التأميم ليس الا شانا من شئون وزارة الداخلية المصرية فاعلان نهرو هذا قد ترك بصمات عريقة على اذهان وقلوب المصريين ولذلك نرى الشاعر الجوهري يقول ان حبه للهند ليس الا نتيجة اجسان نهرو على مصر عند تأميم القناة فيعبر الشاعر عن محبته للهند قائلا:

احببتها من اجل نهرو حكمة ينبوعها للفكر اعذب مورد

صرخت بوجه البغى تدفع كفه عنى وتلقاه بوجه مربد (٢٧).

وفى منظومة "الى الهند الجيبة" يصب الشاعر عبد الفتاح الصحن شائب المدح والثناء على نهرو ويشير بوجه خاص الى صدقه واخلاصه فنلاحظه يقول باللغة العامية:

زى الهند البلد الثورى اللى بنت للمجد اساس

لما القادة نهرو وغاندى قادوا الامة بالاخلاص (٢٨)

اما ابوالكلام آزاد فهو ايضا يحتل مكانة رفيعة فى قلوب الشعراء المصريين وذلك لانه لم يكن رجلا سياسيا بحثا بل كان من جهاذة علماء الهند الذين اناروا قلوب الملايين بغزارة علمهم وسعة معلوماتهم وبلورة افكارهم ودقة ابحاثهم ونفاذ بصيرتهم والذين لعبوا دورا رياديا فى حركة تحرير الهند من ربة الاحتلال البريطانى من الهمية بمكان ان نشير الى ان آزاد قد تأثر كثيرا بكل ما كان يجرى من الاحداث السياسية بمصر فى ابان مطلع هذا القرن وفى هذا الصدد ننقل فيما يلى ما كتبه الاديب الكبير انور الجندى فى كتابه "تراجم الاعلام المعاصرين" عن آزاد وعلاقته برجال مصر السياسيين.

"ولم يلبث ان قام (اى آزاد) بجولات فى العراق وسوريا وتركيا ومصر فى سن العشرين ومكث فى مصر وقتا غير قليل وزار الجامع الازهر ولم يدرس هناك شيئا على ما قيل عنه واتصل بالثوار الأتراك والعرب ولعل هذا

## ثقافة الهند

هو الذى دفعه بعد عودته الى أن يشق نفس الطريق الذى سار فيه مصطفى كامل ومحمد فريد". (٢٩)

وهذا التأثير الانفعال لم يكن من طرف واحد فقط بل تأثر عدد كبير من الابداء والشعراء المصريين بشخصية آزاد الفذة فلقبوه احيانا بـ "رب الكلام" و احيانا استعملوا له صفات "العالم الورع الحر" وقد عبر الشاعر المصرى محمود خليفة غانم عن تأثره بأبى الكلام آزاد واصفا لرض الهند كما يلى:

مولانا آزاد بها جود قوى لها غلب  
لوقع كلامه شرر يورى ناره الخطب. (٣٠)

والشخصية الهندية الأخرى التى لها شهرة واسعة الانتشار فى لرض الكنانة هى شخصية طاغور الذى حاز جائزة توبل" فى سنة ١٩١٤ لمجموعته الشعرية "جيتا نجلي" وبما أنه كان اول من الأسيويين الذين حصلوا على هذه الجائزة فى الأدب فتأثر بشاعريته وفلسفيته معظم ابداء مصر وشعرائهم وقد ذكرنا من قبل اعجاب امير الشعراء شوقى بهذه الشخصية الفذة الممتازة والآن نركز اهتمامنا على ما قاله الشعراء المصريون الآخرون فى مدح طاغور وفى هذا الصدد نستهل الكلام بقصيدة محمد طاهر الجبلوى المعنونة - بـ"فى ذكرى تاجور" وقد ابدى الشاعر المذكور انشغافه بطاغور مخاطبا لياه بالابيات التالية:

تاجور ذكرك لا ينفك فى خلدى حيا احببه فى نفسى فيرضينى  
فيه السكينة ترعانى وتسعدنى من حيث احسب ان الدهر يشقبنى  
كشفت عنى حجابا من نجى زمنى فاشرفت جنبات منه تهدينى (٣١).  
وقد اطال الاستاذ محمود خليفة غانم ذكر طاغور فى قصيدته التى فرضتها فى وصف الهند فتدل هذه الاطالة على أنه متأثر للغاية بشخصية تاجور الفريدة وعلى الأخص بمنهج تاجور التربوى والتعليمى ومن هنا نشاهد الاستاذ غانم يسكب خواطره وانطباعاته فى قوالب الأبيات الآتية:

هنا طاغورنا وانى وشف سمعى الطرب  
انا قلت لها فيه على اوتاره لعب

بنى للهند جامعة      بندها قاده نخسب  
به طاغور حياتى      وفى الهند والعرب  
بفلسفة وتربية      ومجد الهند مطلب(٣٢).

والشاعر المصرى وهو محمود شاور ربيع قد سجل اعتزازه بشخصية  
"طاجور" فى البيت التالى:

تاجور غنى للاحبة لحنه      فهفت اليه مشاعر وضمائر(٣٣).  
وبمكان آخر نفس الشاعر يفتق كنوس المدح على طاغور "قاتلا:  
والمح فى الفضاء وقد تبدى لنا      (تاجور) اعذبها لحونا  
لقد عشق الحياة هوى وحسنا      واشعارا فضاوض بها فنونا(٣٤).

والشاعرة آمال الشامى قد تأثرت بـ" طاغور وفلسفته الى حد انها اندفعت  
الى مخاطبة طاغور بالابيات التالية:

يا فيلسوف الهند، يا كوكبها      انردوبا فى العقول حالكة  
ان الحياة لم تزل عجيبة      اسوارها للايرياء شانكة(٣٥).

ويتضح من كل ما ذكرناه عن طاغور ان لطاغور وفلسفته دوى واسعا  
فى اوساط مصر الادبية والعلمية والثقافية من هنا ويتمتع طاغور بنفسه بمنزلة  
رفيعة فى قلوب الشعراء والادباء المصريين والفضل فى هذا الصدد يرجع الى  
حد كبير الى جائزة نوبل التى حصل عليها طاغور فى العقد الثانى من هذا  
القرن ومن المعلوم ان كل من يفوز بهذه الجائزة يطير صيته فى الخافقين بين  
عشبة وضحاها وفى ضوء هذا الصيت الواسع الانتشار نلاحظ ان عديدا من  
الكتاب والباحثين والنقاد العرب قد اعتوا اعتاء كبيرا بكل ما تركه طاغور  
من دواوين الشعر والمسرحيات والقصص والروايات وقاموا بترجمة بعض  
منها وهذا الجانب المشرق يتطلب منا ان نخصص بحثا مستقلا لهذا الغرض  
ولذا نكتفى بهذا القدر من البيان عن طاغور والمعجبين به من ابناء مصر  
العزيزة ونذلف الى ذكر بعض المظاهر الاخرى للهند التى تأثر بها عديد من  
الشعراء المصريين وفى هذا السياق عند ما نقلنى النظرة على قصيدة الاستاذ

## ثقافة الهند

محمود خليفة غانم المعنونة بـ الهند نجده يصف بعض الاماكن الاثرية  
الموجودة فى الهند بالابيات التالية:

و"جامع مسجد" فيها نسبة الهند والعرب  
على ألوان مرمر شواهد انها كتب  
صعدت لتاج مرة كانى طائر يثب  
رأيت القلعة الحمراء دلهى وهى تقرب  
ومسجدة قوة الاسلام يشهد انه النسب.(٢٦).

وهذه الابيات كلها تتم عن ان الشاعر عارف تماما بالخلفيات التاريخية  
لهذه الاماكن ولعل تأثره بهذه الاماكن هو نتيجة هذا العرفان وبما انه ينتمى  
الى اسرة مسلمة فلذلك يشهد عظمة الاسلام وسطوة المسلمين فى جميع هذه  
الاماكن ومع ذلك فحرى بنا ان نخص بالذكر عمارة "تاج محل" لان هذا المبنى  
الرخامى قد اثار عواطف عديد من الشعراء العرب وان جماله وفخامته قد  
تركت بصمات عريقة على احساس هؤلاء الشعراء الى حد انهم فى اكثر  
الاحيان قد وقفوا امام هذا المبنى حيارى ومشدوهين بحيث لم يجدوا كلمات  
مناسبة للتعبير عن مدى تأثرهم بجمال هذه العمارة الشاهقة ولاشك فى انه لا  
يوجد اى مثل لهذه العمارة التى تعد من العجائب الست فى العالم ومما يقال ان  
هيام الملك المغولى بعقيلته "ممتاز محل" قد تجسد فى صورة هذا البناء الفخم  
وهكذا اصبح هذا البناء مزيجا من الخيال والحقيقة ومثل هذا الامتزاج لا يوجد  
الا نادرا وقد تأثر الشاعر العربى المهندس شهاب غانم بهذه الناحية من "تاج  
محل" ولذا نراه يسكب خواطر عن "تاج محل" فى قوالب الابيات التالية:

بماذا اشبهه هذا الجمالا وقد بلغ الفن فيه الكمالا

وجاوز فى الخلق حتى الخيالا وجسد فيما احتواه المثالا.

وبصرف النظر عن هذه الاماكن الاثرية فان ارض الهند تمثلا بكثير من  
المناطق الجبلية والرملية والساحلية ذات المناظر الطبيعية الخلابة فالذى يزور  
هذه المناطق يتوصل الى نتيجة ان هذه البقعة من الارض هى فى الحقيقة  
قطعة من الجنة ولو لم يكن كذلك لما انزل الله أم على جبل " الرهون" الواقع

## ثقافة الهند

فى الهند. (٣٧) والشعر العرب بما فى ذلك الشعراء المصريون كانوا واقفين على هذه الحقيقة ولذلك نرى خليل مطران يقرض الابيات التالية فى وصف الهند:

دعيت نبات العرب من      قدم به ومجدن مجدا  
ما الهند الا روضة      كانت لا رقى الخلق مهذا  
للحسن فيها محضر      جم عجائبه ومبدى  
من يدع هذا يعن من      اسنى معانى الشعر عدا (٣٨).

### الهوامش:

- (١) عرب و هند كـ تعلقات از مولانا سيد سليمان ندوى ص ٧٨.
- (٢) *The Times of India* ( Sunday Review) June 28,92
- (٣) تاريخ الشعر العربى لنجيب محمد البهيتى ص ٣٥.
- (٤) شوقى شاعر العصر الحديث للدكتور شوقى صيف ص ٣٧.
- (٥) اعلام النثر والشعر العصر العربى الحديث لمحمد يوسف كوكن ٢٦٥/٣
- (٦) الشوقيات لاحمد شوقى
- (٧) طبقات الامم للقاصى صاعد الاندلسى ص ١٧.
- (٨) احمد شوقى امير الشعراء لعوزى عطوى ٤٧٥.
- (٩) الشوقيات لاحمد شوقى
- (١٠) ديوان خليل مطران (الجزء الثانى)
- (١١) برهة المشتاق فى احتراق الأفاق لأسى عبدالله محمد بن محمد شريف الادريسي ص ١٣١.
- (١٢) الحماسة ص ٢٧٧.
- (١٣) أيضا ص ١٦٣.
- (١٤) المعطيات السبع ص ٣١.
- (١٥) الشوقيات ار احمد شوقى بك
- (١٦) مجلة صوت الشرق العدد ٨٤.
- (١٧) البحث عن الذات لاثور السادات ص ٢١.
- (١٨) مجلة صوت الشرق العدد ١٨٧.
- (١٩) مجلة صوت الشرق العدد ٢٣٣.
- (٢٠) مجلة صوت الشرق العدد ٢٧٧.
- (٢١) مجلة صوت الشرق العدد ٢٧١.
- (٢٢) مجلة صوت الشرق العدد ٢٢١.

## ثقافة الهند

- (٢٣) مجلة صوت الشرق العدد ٢٣٣.
- (٢٤) الشوقيات لاحمد شوقي
- (٢٥) مجلة صوت الشرق العدد ١٨٥.
- (٢٦) مجلة صوت الشرق العدد ٢٢٧.
- (٢٧) مجلة صوت الشرق العدد ٣٢٧.
- (٢٨) مجلة صوت الشرق العدد ٢٢٠.
- (٢٩) تراجم الاعلام المعاصرين للعلامة نور الجندي ص ٢٤.
- (٣٠) مجلة صوت الشرق العدد ١٨٨.
- (٣١) مجلة صوت الشرق العدد ١١٠.
- (٣٢) مجلة صوت الشرق العدد ١٨٨.
- (٣٣) مجلة صوت الشرق العدد ١٨٥.
- (٣٤) مجلة صوت الشرق العدد ٢٢٧.
- (٣٥) مجلة صوت الشرق العدد ٢٣١.
- (٣٦) مجلة صوت الشرق العدد ١٨٨.
- (٣٧) مروج الذهب ومعادن الجوهر لعلى بن حسين المسعودي ص ٦٠.
- (٣٨) راجع ديوان خليل مطران الجزء الثاني )